صوت المرأة المسلمة

العدد :٢٠٣ الموافق في جمادى الأخرة ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/١٠ ميلادي

عنوان المقال : أين المبدعات	بقلم : أ.عدنان

منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي - على وجه التقريب - والحوار محتدم داخل الأرض الإسلامية حول : أسباب الضعف والتخلف الذاتية ، وعوامل الإضعاف والتجهيل الخارجية التي تفرضها قوى التسلط العالمية على المسلمين .

وأفرز هذا الحوار تبايناً في معالجة الأزمات ، واتخذ الناس مواقف عبروا عنها بكلمات ، مثل (الأصالة ، الحداثة ، الوسطية ، التطرف ، الاعتدال ، الرجعية ، التقدمية...) ويمكن أن نميز داخل كل موقف ألوان الطيف في تحديد شروط ما يؤخذ به وما يترك ، وما حقه التقديم أو التأخير...

ونحب أن نشير هنا إلى أن الاحتكاك بالفكر الغربي قد حفَّز طائفة من المؤمنين الصادقين ، وحرضهم على تلمس الفهم الأفضل للإسلام ، وكان موضوع « المرأة » من أبرز المسائل التي شغلت - وما تزال - الفكر الإسلامي من الناحية النظرية والسلوك العملي .

وغنيٌ عن البيان أن مؤسسات الغرب - التي أرسلت جيوشاً جرارة صامتة إلى بلاد المسلمين - قد أولت قضايا المرأة عناية خاصة . يقول المبشر جب : " إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني... لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها... " وتقول المبشرة آنا ميليفان : " في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات... وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي... وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة ". وجاء في الصفحة ٢٠٣ من كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » الآتي :

" ويهتم المبشرون خاصة بالمرأة... إن المرأة مدار الحياة الاجتماعية ، والوصول إليها بالتبشير وصول إلى الأسرة كلها... من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها ، ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التي يعدها المبشرون للفتيات خاصة...

وللمرأة عند المبشرين أهمية عظمى... قال نفر منهم : بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها - ذكوراً وإناثاً - حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ في الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة... فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد على جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية ".

عنوان المقال : أين المبدعات	بقلم : أ.عدنان

ولا يخفى أن حركة التجديد الإسلامي المعاصرة قد أبرزت النصوص الشرعية الواردة في المرأة ، وليس بمستغرب أن تتعدد قراءة النصوص بتعدد خلفيات المتعاملين معها رجالاً ونساءً :

❋ فالذين ينطلقون من تقديس التراث ، ويخافون أن تتسرب مفاهيم الغرب المتغلب إلى الفكر والممارسة يجدون أنفسهم ملزمين بفهم الأجيال السابقة ، ويرون مخالفتها لوناً من الانحراف بفعل استيطان الأفكار الغربية .

❋ والذين يقفون على أرض الفكرة الغربية ، ويرغبون صادقين في التحرر من عوامل الضعف ، يسقطون مفاهيمهم على النصوص بتأويل ، ويتهمون من يرخص ما توصلوا إليه بالجمود والجهل واجترار الماضي...

❋ وهناك تيار الوسطية الداعي إلى الالتزام بالنصوص وفق منهجية تفرق بين فهم الأجيال المتأثر بالظروف المتغيرة وبين النصوص ، مع توفير قدرة اجتهادية أصلية . وهذا هو التجديد الذي لا يقدس عطاء السابقين لقدمه ، وإنما لصلاحه ، ولا يقبل الجديد لجدته ، بل لفائدته ، والتجديد لا يقف عند حدود ما يصح أخذه من عطاء الماضي والحاضر ، ولكنه يشمل ابتكار صور عملية تنظم النشاط الإنساني للذكور والإناث في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها بعيداً عن التقليد أو الانبهار .

والناظر في عطاء الحركة الإسلامية المعاصرة يرى أن كثيراً من وجهات النظر ترفع شعار « المحافظة » أو « المعاصرة » . ولا يخفى عليه أن الفريق الأول يستدعي تطبيقات أجيال خلت ، بينما ينقل الفريق الثاني ممارسات الغربيين ، ويظهر - بيوسيع النظر - أن الفريقين يفتقران إلى التجديد والاجتهاد ، وهذا هو سبب الخصومة الحامية في كثير من الأحايين .

إن مستقبل دور المرأة المسلمة يحدده المبدعون والمبدعات ، المالكون لأهلية التجديد والابتكار بضوابط شرع الله عز وجل ، ونتوجه بالكلام هنا إلى المبدعات لأنهن الأقدر على صياغة أعمال وروابط وعلاقات تلتزم بأحكام الإسلام الرحيم وبمقاصده السامية ، ولأن عليهن واجب محاورة من ينأى عن النهج الأقوم فهماً وتطبيقاً من ذوي النيات الحسنة.